المقدمة

إنّ الحمد لله ، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فمن المعلوم أنَّ علوم البلاغة من المصادر المهمة في فهم كتاب الله تعالى، وقد أدرك العلماء منذ القِدَم شرف هذا الموضوع وأهميته؛ فبذلوا جهودهم في دراسة هذه اللغة .

ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-؛ إذ له جهود كبيرة وطيبة في علوم البلاغة خَفيتْ على كثير من الناس؛ نظراً لشهرة هذا العالم في علوم أخرى كالعقيدة، والتفسير، والفقه؛ لذلك أحببت إبراز هذا الجانب عنده، وجعلته بعنوان :

(التعريف والتنكير، وأغراضهما البلاغية عند الشيخ ابن عثيمين)

وتتلخص دوافع اختيار هذا الموضوع في اهتمام الشيخ -رحمه الله- بعلوم البلاغة العربية، فقد كان بارزاً فيها، مثلما كان بارزاً في العقيدة، والتفسير، والفقه، وغيرها.

إضافة إلى ظهور شخصية الشيخ البارزة في عرض المسائل ومناقشتها، إذ لم يعتمد على مجرد النقل، بل له اختياراته وآراؤه في هذا الشأن.

أما خُطة البحث فتتكون من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس لمصادر البحث .

ولتوثيق كلام الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- سلكت الطريقة الآتية :

ما كان في الكتب المطبوعة وثّقته منها بذكر الجزء – إنْ وجد– ورقم الصفحة، وحرصت أنْ يكون أكثر تمثيلي من هذه الكتب المطبوعة .

وأمّا بقية الكتب الأخرى للشيخ - أعني الكتب التي لم تطبع- ، فإنْ كان الكتاب المؤلَّف تفسيراً لسور القرآن الكريم فطريقتي في الإحالة إليه هي أنْ أذكر اسم السورة ورقم الآية المفسَّرة ؛ إذ لا يوجد هناك صفحات يمكن الإحالة عليها؛ فقد سُجّل تفسير هذه السور على أشرطة صوتية، وسُجّل أيضاً على أقراص مدمجة (CD)، وهي أشرطة محفوظة بين أيدي الناس ومنتشرة، ومن الجدير بالذكر أنَّ موقع الشيخ ابن عثيمين يقدم على الشبكة العالمية (الانترنت) خدمة سماع هذه التفاسير من خلال الموقع مباشرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمهيد

ابن عثيمين، حياته وآثاره

هو أبو عبد الله، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان من آل مقبل من آل ريِّس الوهيبي التميمي، وجدُّه الرابع عثمان أطلق عليه عثيمين فاشتهر به (١).

ولد الشيخ في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك لسنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم .

تتلمذ الشيخ على بعض أفراد عائلته أمثال جده من جهة أمه الشيخ عبد الرحمن ابن سليمان آل دامغ -رحمه الله تعالى-، وكان قد رُزق ذكاءً وهمة عالية في تحصيل العلم، وكانت بداية ذلك عام (١٣٦٠هـ) عند ملازمته لشيخه العلامة المفسر عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، بل إنَّ نشأته كانت في التحصيل واغتنام الوقت وصرفه في القراءة (٢).

وأبرز شيوخه :

١ - الشيخ المفسر عبد الرحمن بن ناصر السعدي من قبيلة تميم، ولد في عنيزة في القصيم عام (١٣٠٧هـ)، وكان ذا معرفة تامة في الفقه، أصوله وفروعه، ألّف تفسيراً جليلاً سماه: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، توفي في مدينة عنيزة من بلاد القصيم عام (١٣٧٦هـ)(٣) .

٢ - الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ولد سنة(١٣٣٠هـ) بمدينة الرياض، فَقَدَ بصره عام (١٣٥٠هـ)، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة العربية عين في القضاء عام (١٣٥٠هـ)، له مؤلَّفات جليلة على الرغم من كثرة مشاغله، دَرَسَ عليه الشيخ ابن عثيمين الحديث عندما كان مواصلاً لدراسته النظامية في الرياض، فقرأ عليه صحيح البخاري وبعض كتب الفقه .

توفي -رحمه الله تعالى- فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر المحرم، عام (١٤٢٠هـ)، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، ودفن في مقبرة العدل في مكة المكرمة(٤) .

٣ - الشيخ المفسّر اللغوي الأصولي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي صاحب التفسير المشهور (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، وقد دَرَسَ عليه الشيخ ابن عثيمين في المعهد العلمي بالرياض، ولد الشنقيطي بشنقيط (موريتانيا) عام (١٣٢٥هـ) وتوفي بمكة يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة عام (١٣٩٣هـ)(١).

أما طلاب الشيخ ابن عثيمين فقد كثر عددهم عام (١٤٠٦هـ) ، حتى وصل العدد في المجلس الواحد في مسجده إلى أكثر من ستمائة طالب على مختلف المستويات(٢).

صنّف الشيخ في شتى المجالات، من مسموع أو مكتوب، في العقيدة، والفقه، والحديث، والأصول، والنحو، والبلاغة، وغيرها.

ومن مؤلفاته في اللغة:

١. شرح الآجرومية في النحو.
٢. شرح ألفية ابن مالك في النحو.
٣. شرح الدرة اليتيمة في النحو.
٤. شرح دروس البلاغة.
٥. قواعد في الإملاء.
٦. مختصر مغني اللبيب.

وفي الخامس عشر من شهر شوال من عام (١٤٢١هـ) توفي الشيخ رحمه الله تعالى في مدينة جده(٣).

التعريف والتنكير

تمهيد

من الأساليب البلاغية التي يقصدها البلاغي والتي تقتضيها أحوال المخاطبين أسلوب التعريف والتنكير، وله أغراض بلاغية كما كان للتقديم والتأخير والحذف والذكر وغيرهما .

وقد تحدث علماء النحو عن المعرفة والنكرة، وذكروا أقسام المعارف كالضمير، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرف بأل، وغيرها من المباحث التي تتعلق بهذا الموضوع إلا أنَّ حديثهم كان من الناحية الإعرابية .

أما علماء البيان فإنهم تحدثوا عن الأغراض البلاغية التي يأتي من أجلها التعريف أو التنكير، وهو البغية التي نريد الوقوف عليها عند الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -؛ لنعرف مقدار جهده – رحمه الله – في هذا المقام .

المبحث الأول

التعريف، أنواعه وأغراضه البلاغية

أولاً : التعريف بالضمير :

الضمير كما هو معلوم إما للمتكلم، أو للمخاطب، أو للغائب، وهو ما كني به عن الظاهر اختصاراً، فإذا خاطبت رجلاً اسمه (علي بن عبد الله) فقلت: (أنت قائم) كان أقصر وأبين إذ لا يحتمل غيره[١] .

يقول الشيخ ابن عثيمين: ((أعرف المعارف هو الضمير؛ لأنك إذا قلت (أنا) ما يحتمل غيرك، (أنت) لا يحتمل غيره، (هو) لا يحتمل غير المكنّى عنه ...

استثنى بعض العلماء أسماء الله المختصة به فقالوا عنها أعرف المعارف، فالله علم على الرب – عز وجل – هذه أعرف المعارف؛ لأنها لا تحتمل غيره. إذن نقول: أعرف المعارف الضمائر إلا الأسماء المختصة بالله فهي أعرف من الضمائر؛ لأنها لا تحتمل غير الله ولا تصل لغير الله))[٢].

ثانياً : التعريف بالعلمية :

العلم هو الذي يعين مسماه مطلقاً[٣]، وهو في المرتبة الثانية من المعارف، يقول الشيخ ابن عثيمين في تعريفه وبيان مرتبته من مراتب المعارف : ((الاسم العلم هو الذي يعين المسمى تعييناً مطلقاً بلا قيد، مثل: زيد، مكة. زيد : علم على العاقل. مكة: علم لغير العاقل ...

إذن؛ العلم يأتي في المرتبة الثانية من مراتب المعارف إلا العلم الخاص بالله عز وجل فهو بالمرتبة الأولى قبل كل شيء))[٤].

---

١) ينظر : شرح الآجرومية : ٢٣٤ ، وما بعدها .
٢) المصدر نفسه : ٢٣٥ .
٣) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ١٠٩/١ .
٤) شرح الآجرومية : ٢٣٦ .

وللتعريف بالعلمية أغراض بلاغية، منها:

١- التحقير والإهانة:

ومنه ما جاء في قوله - عز وجل- : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد :١].

ففي تفسير هذه الآية يقول الشيخ ابن عثيمين : ((هذا اللقب أبو لهب، لقب مناسب تماماً لحاله ومآله، وجه المناسبة أنَّ هذا الرجل سوف يكون في نار تلظى، تتلظى لهباً عظيماً مطابقة لحاله ومآله. يقول الشاعر[١] :

قل إن أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

ولما أقبل سهيل بن عمرو في قصة الحديبية قال الرسول - صلى الله عليه وسلم-: ((هذا سهيل بن عمرو، وما أراه إلا سهل لكم من أمركم))[٢]. ((لأنَّ الاسم مطابق للفعل))[٣].

٢- التعظيم:

ومثاله قوله - تعالى- : ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[الكهف: ٩٤] .

ففي تفسير هذه الآية الكريمة يقول الشيخ ابن عثيمين: (((قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ)، نادَوه بلقبه تعظيماً له))[٤].

ثالثاً : التعريف باسم الإشارة:

---

١) لم أقف على قائله .
٢) أخرجه البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط : ٢٥٥/٣ .
٣) تفسير جزء عمّ : ٣٥٠ .
٤) تفسير سورة الكهف : ١٣١.

للتعريف باسم الإشارة أغراض بلاغية يمكن أن تستنتج من سياق الكلام، ومنها- عند الشيخ ابن عثيمين-:

١- التعظيم :

تارة يكون باستعمال اسم الإشارة القريب، وتارة يكون بالبعيد، والسياق هو الذي يحدد ذلك، ففي قوله - تعالى - : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِ ﴾[البقرة: ٢]، قال الشيخ ابن عثيمين:

((يقول الله -عز وجل- : (ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ)؛ وهو القرآن الكريم، وأشار الله – سبحانه وتعالى– إليه بإشارة البعيد لعلو مرتبته، وعظيم منزلته؛ فإنه كلام الله – عز وجل– الذي أنزله على رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم- ، وقد وصفه الله – تعالى– في القرآن بأوصاف عظيمة بالغة))[١].

وذكر الشيخ ابن عثيمين أيضاً في تفسير هذه الآية الكريمة قوله: ((وفي قوله - تعالى- (ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ) دليل على علو مرتبة القرآن، وهو كذلك؛ لأنَّ القرآن كلام الله – عز وجل– الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فهو أعلى الكلام في الفصاحة والبلاغة، وما يحتوي عليه من العلوم النافعة))[٢].

وإذا كان الكتاب عالي المكانة والمنزلة، فلابد أن يعود ذلك على من تمسك به بالعلو والرفعة. وأشار إليه بأداة البعيد لعلو منزلته؛ لأنه أشرف كتاب، وأعظم كتاب[٣].

٢- التقريب والتشريف:

كقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[آل عمران: ٦٨]، فقد بين الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بلاغة اسم الإشارة (هذا) فقال: (((وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ) المشار إليه محمد -عليه الصلاة والسلام -،

---

١) أحكام من القرآن الكريم : ٤١/١ . وينظر : تفسير سورة البقرة : ٢٤/١ .
٢) أحكام من القرآن الكريم : ٤٣/١ . وينظر : أصول في التفسير : ٢٨١ .
٣) ينظر : تفسير سورة البقرة : ٢٥/١ ، ٢٨ .

وكفى به فخراً أن يشير إليه رب العالمين، هذا شرف عظيم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يكون الله يشير إليه بهذه الإشارة المفيدة للقرب، ولم يقل: وذلك النبي، بل قال: (وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ) إشارة إلى قربه؛ لأنـــــه – صلى الله عليه وسلم – أقرب الناس منزلة إلى الله - سبحانه وتعالى -))[1].

٣- التنبيه على أنَّ المشار إليه جدير بالأوصاف المذكورة بعد اسم الإشارة:

ومنه قوله – تعالى– في بيان صفات المتقين الست: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[البقرة: ٣- ٥].

فقد فسر الشيخ ابن عثيمين هذه الآية الكريمة فقال : ((قوله - تعالى -: (أُوْلَٰٓئِكَ): المشار إليه ما تقدم ممن اتصفوا بالصفات الخمس[2] ؛ وأشار إليهم بصيغة البعد لعلو مرتبتهم))[3] .

٤- علو الرتبة والمقام:

قد ينزل القريب منزلة البعيد؛ للدلالة على علو المرتبة والمقام، كقوله – تعالى– في ثناءه على الصابرين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٥٧] .

جاء في تفسير هذه الآية الكريمة عند الشيخ ابن عثيمين: ((قوله - تعالى -: (أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ)؛ الإشارة إلى ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا

---

١) تفسير سورة آل عمران : ٣٩١/١ .
٢) ذكر الشيخ ابن عثيمين في بداية تفسيره لهذه الآية الكريمة أنَّ فيها ست صفات للمتقين، ثم ذكر هنا أنها خمس صفات، والصواب الأول أنها ست صفات كما هو واضح من الآية الكريمة .
٣) تفسير سورة البقرة : ٣١/١ .

لِلَّهِ ﴾[البقرة: ١٥٦] الخ؛ وجاءت بلفظ الإشارة للبعيد للدلالة على علو مرتبتهم، ومنزلتهم، ومقامهم))[١] .

قلت: وفيه ما يدل على علو همتهم أيضاً، والله أعلم .

ومنه أيضاً قوله – تعالى– في بيان ما لعباده المخلَصين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات: ٤١] .

قال الشيخ ابن عثيمين: (((أُوْلَٰٓئِكَ) الضمير يعود على عباد الله المخلصين، وأتى بأولئك الدال على البعد مع قرب ذكرهم ولم يقل: (هؤلاء)، بل قال: (أُوْلَٰٓئِكَ) تعظيماً لشأنهم وبياناً لعلو مرتبتهم. والإشارة بالبعيد تأتي لتعلية الشأن وتعظيمه، كما قال الفرزدق يخاطب جريراً[٢]:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

قال: أولئك آبائي أشار إليهم بإشارة البعيد، تعظيماً لشأنهم وتعلية لهم))[٣].

٥- انحطاط الرتبة والمقام:

وقد ينزل القريب منزلة البعيد، لانحطاط المرتبة والمقام والتنفير منهما، كقوله - تعالى – في حق الكافرين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[آل عمران: ٨٧] .

قال ابن عثيمين مفسراً وموضحاً: (((أُوْلَٰٓئِكَ): أي المشار إليهم، وهم الذين كفروا بعد إيمانهم، وشهدا أنَّ الرسول حق، وجاءهم البينات، وأتى بصيغة الإشارة على وجه البعد إشارة إلى انحطاط مرتبتهم؛ لأنَّ الإشارة إلى القريب بصيغة البعد قد تكون إشارة إلى علو المرتبة، وقد تكون إشارة إلى انحطاط المرتبة، وهنا إشارة إلى

---

١) المصدر نفسه : ١٨٢/٢ .
ولمزيد من الأمثلة ينظر : تفسير سورة البقرة : ٣٢/١ ، و ٦٣/٣ ، تفسير سورة آل عمران : ٣٥/٢ ، تفسير سورة الحجرات ... : ١٩ ، أحكام من القرآن الكريم : ٤١٨/١ .
٢) البيت من البحر الطويل، ديوان الفرزدق: ٤٢/٢ .
٣) تفسير سورة الصافات: ٩٤ .

انحطاط مرتبتهم، فهم لانحطاط مرتبتهم بعيدون، يُشار إليهم إشارة البعد))[١]، وكأن المتكلم أنزلهم منزلة البعيد منه؛ لأنه تبرأ منهم ومن أعمالهم[٢]، والله أعلم .

ومثله أيضاً قوله - تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة: ١٧٤].

قال ابن عثيمين – رحمه الله– في بيان الغرض من اسم الإشارة هنا: ((قوله - تعالى- : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾: الاستثناء مفرغ؛ والإشارة للبعيد لبعد مرتبتهم، وانحطاطها، والتنفير منها))[٣].

٦- التحقير :

عند تفسير الشيخ ابن عثيمين لقوله - تبارك وتعالى- : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾[فصلت: ٢٦].

قال: ((ما المراد بالإشارة هنا ؟ ولماذا لم يقولوا: لا تسمعوا للقرآن؟ المراد بها التحقير. يعني هذا لا يساوي شيئاً لا تسمعوا إليه. ويشبه هذا من بعض الوجوه قولهم: (أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ): احتقار. أهذا الذي يسبها؟! مَنْ هو؟! أهذا الذي بعث الله رسولاً. وهذا للاحتقار لكنه مستفاد من الاستفهام، أما هنا فهو مستفاد من الإشارة الدالة على التحقير))[٤].

---

١) تفسير سورة آل عمران: ٥٠٥/١ .
وللاستزادة من الأمثلة ينظر : تفسير سورة البقرة: ٦٠/١ ، و ٣٧٦/٣ ، تفسير سورة آل عمران: ٩/٢ ، أحكام من القرآن الكريم: ٧١/١ .
٢) ينظر: تفسير سورة آل عمران: ١٠/٢ .
٣) تفسير سورة البقرة: ٢٦١/٢ .
٤) تفسير سورة فصلت، الآية (٢٦) .

وعند تفسيره لقوله - تعالى- : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١]، قال - رحمه الله- : ((يقول الله - عز وجل-: (تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ) وهذا رد على أبي لهب حين جمعهم النبـــــي – صلى الله عليه وسلم – ليدعوهم إلى الله فبشر وأنذر، قال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا[1]، قوله: (ألهذا جمعتنا) إشارة للتحقير، يعني هذا أمر حقير لا يحتاج أن يُجمع له زعماء قريش، وهذا كقوله: ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾[الأنبياء: ٣٦]. والمعنى تحقيره، فليس بشيء ولا يهتم به كما قالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[الزخرف : ٣١]. فالحاصل هنا أنَّ أبا لهب قال: تباً لك ألهذا جمعتنا، فرد الله عليه بهذه الســـــــــورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ والتباب الخسار. كما قال - تعالى - : ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾[غافر: ٣٧]، أي : خسار))[2].

٧- التقريع والتوبيخ والتنديم:

مثال ذلك قوله – تعالى – في حق المكذبين بيوم الدين : ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[المطففين: ١٦- ١٧].

فقد بين الشيخ ابن عثيمين الغرض من اسم الإشارة هنا فقال : ((ثم يقال لهم تقريعاً لهم وتوبيخاً (هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ) فيجتمع عليهم العذاب البدني والألم البدني بصلي النار وكذلك العذاب القلبي بالتوبيخ والتنديم حيث يقال: (هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ) ولهذا يقولون يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، قال الله - تعالى:

---

١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة (تبت يدا أبي لهب وتب): ٢٢٢/٦ .
٢) تفسير جزء عم : ٣٤٩ .
وللمزيد ينظر: تفسير سورة العنكبوت، الآية (٦٤).

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[الأنعام: ٢٨]))[١].

رابعاً : التعريف بأل:

هذا هو النوع الآخر من أنواع المعارف فكل اسم فيه (أَلْ) فهو معرفة، سواء كان مفرداً، أم مجموعاً، أم مذكراً، أم مؤنثاً[٢].

وهل المقصود بذلك الألف واللام، أو أل، أو اللام وحدها؟

في هذا خلاف بين النحويين :

- البصريون يقولون: معرف بأل، وبه قال الأصوليون.
- والكوفيون يعبرون بالألف واللام .
- وربما عبر بعضهم باللام فقط ؛ لأنَّ (أل) لم تأت الهمزة فيها على أنها من بنية الكلمة، ولكن لسهولة النطق بالساكن؛ فلولا الهمزة لم تنطق اللام؛ لأنَّ اللام ساكنة، والساكن لا يمكن الابتداء بالنطق به، لذلك يقول البعض: إنَّ التعريف حصل باللام وحدها .

والخلاف كما يرى الشيخ ابن عثيمين في هذه المسألة ليس تحته طويل فائدة[٣].

وهي على قسمين[٤]:

١- أل العهد:

وتدل على شيء معين معهود بين المتكلم والمخاطب، وهنا يذكر الشيخ ابن عثيمين قاعدة تقول: ((إذا دار الأمر بن أن تكون (أل) للعموم أو للعهد، فالأصل أنها للعموم إلا بدليل))[٥].

وللعهد ثلاثة أنواع:

ذكري، وحضوري، وذهني[٦]، وإليك الأنواع الثلاثة مع التمثيل:

أ- العهد الحضوري:

---

١) تفسير جزء عم : ١٠٢ .
وللاستزادة ينظر: تفسير سورة الحجرات... : ١٨٢، وما بعدها.

٢) ينظر: شرح الآجرومية : ٢٣٨.

٣) ينظر : شرح نظم الورقات: ٨٧.

٤) ينظر : معاني الحروف: ٤١، الجنى الداني : ١٩٤، الأشباه والنظائر: ٤٤/٢، وما بعدها.

٥) فتح ذي الجلال والإكرام : ١٩٦/٢ (ط، مؤسسة الشيخ، الرياض).

٦) ينظر : تفسير سورة آل عمران : ١٦٣/٢، فتح ذي الجلال والإكرام : ٣٠٥/٦ (ط، المكتبة الإسلامية، القاهرة).

وهو ما كان معهوداً لحضوره[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين أيضاً: ((هو ما عبر عن الوقت الحاضر؛ كقوله - تعالى-: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾[يونس: ٩١]، فـ (أل) هنا للعهد الحضوري، وقوله - تعالى- : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[المائدة:٣]، للعهد الحضوري، وكذلك كلما جاءت (أل) بعد اسم الإشارة فهي للعهد الحضوري، تقول: هذا الرجل، هذه المرأة، هذا الكتاب))[٢].

فقوله : (ٱلْيَوْمَ) أي هذا اليوم، وكل ما حُلِّي بـ (أل) إذا أتى بعد اسم الإشارة فهو حضوري؛ لأن اسم الإشارة يدل على القرب، فإذا جاء بعد المحلى بـ (أل) فهو حضوري[٣].

ب – العهد الذكري:

هو ما سبق له ذكر، أو ما كان معهوداً لذكره[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين في توضيح ذلك والتمثيل له: ((العهد الذكري: أن يسبق لهذا الذي دخلت عليه (أل) ذِكْر؛ مثل قول الله - تعالى - : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾[المزمل: ١٥- ١٦] فالمراد بالرسول الأول الذي هو موسى - عليه الصلاة والسلام -))[٥].

---

١) ينظر : تفسير سورة آل عمران: ٥٠٣/١، تفسير سورة يس: ٢٢٧.

٢) فتح ذي الجلال والإكرام : ٥٧٦/٢ (ط ، المكتبة الإسلامية، القاهرة).
ولمزيد من الأمثلة ينظر: تفسير سورة البقرة : ١٢٩/١ ، و ٧٩/٣ ، تفسير سورة آل عمران ، و ١٦٤/٢ ، تفسير سورة يس : ١٩١ ، ٢٢٧ ، الشرح الممتع : ١٧٨/٣ ، شرح نظم الورقات : ٤٤ ، دروس وفتاوى في الحرم المكي : ٣٧ .

٣) ينظر : تفسير سورة البقرة : ١٢٩/١ ، تفسير سورة آل عمران : ٥٠٤/١ ، فتح ذي الجلال والإكرام : ٣٠٥/٦ (ط، المكتبة الإسلامية، القاهرة) .

٤) ينظر : تفسير سورة آل عمران : ٥٠٣/١ ، تفسير سورة يس : ٢٢٧ ، تفسير سورة الصافات : ١٥٢ ، فتح ذي الجلال والإكرام : ٥٧٥/٢ (ط، مؤسسة الشيخ، الرياض).

٥) فتح ذي الجلال والإكرام : ٥٧٦/٢ (ط، مؤسسة الشيخ، الرياض).

كأنه قال: فعصى فرعون هذا الرسول الذي أرسلناه، يعني الرسول المذكور وليس رسولاً آخر، فالمراد بالرسول الأول هو الذي أرسل إلى فرعون وهو موسى – عليه الصلاة والسلام – لسبق ذكره، فالعهد هنا ذكري[١].

ج – العهد الذهني :

وهو ما يفهم بالذهن، أو ما كان معهوداً بالأذهان[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- أيضاً في تعريفه والتمثيل له: ((العهد الذهني: هو الذي يكون معلوماً عند الناس، كما لو تقول: سنذهب إلى القاضي للتحاكم عنده، فالمراد بالقاضي: قاضي البلد المعروف، فهو تعيين للإنسان بعينه))[٣].

مثال ذلك أيضاً قوله - تعالى- : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[البقرة: ١٢٥].

قال الشيخ ابن عثيمين: (((ٱلْبَيْتَ): (أل) هنا للعهد الذهني؛ والمراد به الكعبة؛ لأنها بيت الله - عز وجل- ؛ وأتى هنا بـ (أل) للتفخيم والتعظيم؛ يعني: البيت المعهود الذي لا يجهل، ولا يُنسى جعلناه مثابة))[٤].

وفي قوله – تعالى– عن اللواط على لسان لوط -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف: ٨٠]، يقول ابن عثيمين :(((أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ) [الأعراف : ٨٠] ، يعني: التي استقر

---

١) ينظر : تفسير سورة آل عمران : ٥٠٣/١ ، تفسير سورة الكهف : ١٢١ ، تفسير سورة يس : ٢٢٧ ، تفسير جزء عم : ٢٥٣ ، أحكام من القرآن الكريم : ٣٨١/١ ، فتح ذي الجلال والإكرام : ٣٠٥/٦ (ط، المكتبة الإسلامية، القاهرة).

٢) ينظر : تفسير سورة آل عمران : ٥٠٣/١ ، تفسير سورة يس : ٢٢٧ ، فتح ذي الجلال والإكرام : ٥٧٥/٢ (ط، مؤسسة الشيخ، الرياض).

٣) فتح ذي الجلال والإكرام : ٥٧٦/٢. وينظر : تفسير سورة يس : ٢٢٧.

٤) تفسير سورة البقرة : ٤٤/٢ .

وللاستزادة من الأمثلة ينظر : تفسير سورة آل عمران : ٢٢٧/١ ، و ٥٤/٢ ، ١٦٣ ، تفسير جزء عم : ٢٦٨ ، ٣٤٣ ، أحكام من القرآن الكريم : ٣٨٠/١ ، القول المفيد : ٥٥٣/١، التعليق على المنتقى : ٢٢٢/١ ، الشرح الممتع : ٦٢/٣ ، و ٣٢٥/٤ ، و ٨٩/٦ ، ٣٨٢ .

فحشها في فطر الناس و (أل) تفيد التقبيح والتعظيم، ولاشك أنَّ فاحشة اللواط أعظم من فاحشة الزنا؛ لأنها قلب للفطرة التي فطر الله - تعالى- الخلق عليها؛ ولأنَّ فيها عزوفاً عما أحل الله - عز وجل-))[1].

وهذا من أقبح وأعظم الفواحش؛ لذا أتى بـ (أل) الدالة على القبح، وأنها جامعة لكل أنواع الفحش؛ لذلك جعله الله – تعالى– أشد في الفحش من الزنى ومن نكاح المحارم؛ لأنَّ من الفواحش ما هو فاحش يستفحش ويستعظم ويستقبح بشدة، ومنها ما هو دون ذلك، ففي الزنا مثلاً قال الله -تعالى- : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٣٢]، وفي نكاح المحارم قال - تعالى- : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٢٢]، ففي الزنا قال: (فَٰحِشَةً) أي: فاحشة من الفواحش، أما اللواط فجعله الفاحشة العظمى – نسأل الله العافية– [2].

٢- أل الجنس:

وقف الشيخ ابن عثيمين عند (أل) الجنسية وأمثلتها وذكر أنواعها، وهي أن تكون:

أ- لبيان الحقيقة:

قال الشيخ ابن عثيمين في بيان ذلك: (((أل) الجنسية تكون لبيان الحقيقة، ولبيان استغراق الحقيقة. فإذا قلت: الرجال أكمل من النساء، هذه لبيان الحقيقة (الجنس)؛ جنس الرجال أفضل من جنس النساء. ففي النساء من هي خير من كثير من الرجال))[3].

إذاً (أل) التي لبيان حقيقة الجنس لا تدل على العموم، فإذا قلت: الرجل خير من المرأة أو الرجال خير من النساء فليس المراد أنَّ كل فرد من الرجال خير من كل فرد من النساء، وإنما المراد أنَّ هذا الجنس خير من هذا الجنس، إذ يوجد من أفراد

---

١) تفسير سورة الصافات : ٢٨٥ .
٢) ينظر : تفسير سورة الحجرات ... : ٢٣٢ ، شرح رياض الصالحين : ٢٨١/١ ، وما بعدها .
٣) تفسير سورة آل عمران : ٥٠٤/١ .
وللاستزادة ينظر : تنبيه الأفهام : ٣٥٣/١ ، وما بعدها .

النساء من هو خير من بعض الرجال، فلما لم تصدق هذه الكلية على سبيل العموم علمنا أنَّ (أل) هنا ليست للعموم[١].

ب- لاستغراق جميع أفراد الجنس:

أي: شمول كل أفراد الشيء بقطع النظر عن حقيقته الذهنية، وعلامتها أن يصلح في موضعها كلمة (كلّ) – بالتشديد– حقيقة[٢].

ويرى الشيخ ابن عثيمين أنَّ الأصل في اللفظ بقاءه على عمومه، وعليه فالأصل في (أل) أن تكون لبيان الجنس، وفي ذلك يقول: ((الأصل في (أل) أنها لبيان الجنس، كقوله - تعالى-: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[٣]، يعني: جنس الإنسان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٤] ووجه كون ذلك هو الأصل. أنَّ العهد يحصرها في شيء معين، والأصل بقاء اللفظ على عمومه، فإذا قال قائل : ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾[٥] إنه فلان بن فلان، فنقول الله - عز وجل- ، قال: (ٱلۡإِنسَٰنُ) وهو شامل، إذاً فالصحيح أنه عام))[٦].

فلفظ (ٱلۡإِنسَٰنُ) في سورة العصر عام ؛ لأنَّ المراد به الجنس، وعلامة ذلك أن يحل محل (أل) كلمة (كل)، فهنا لو قيل: كل إنسان لفي خسر لكان هذا هو المعنى[٧].
المعنى[٧].

---

١) ينظر : الأصول من علم الأصول : ٢٩ ، شرح الأصول من علم الأصول : ٢٣٤ ، شرح نظم الورقات : ٨٧ .

٢) ينظر : تفسير سورة آل عمران : ٥٠٤/١ ، شرح الأصول من علم الأصول : ٢٣٢ ، ٢٣٥، شرح نظم الورقات : ٨٨ ، فتح ذي الجلال والإكرام : ٢٢/١ (ط، مؤسسة الشيخ ، الرياض) .

٣) سورة العصر، الآية (١-٢).

٤) سورة العصر، الآية (٣).

٥) سورة يس، الآية (٧٧).

٦) تفسير سورة يس : ٢٨٨- ٢٨٩. وينظر : شرح الأصول من علم الأصول : ٢٣٢ .
ولمزيد من الأمثلة ينظر : تفسير سورة البقرة : ١٢/٢ ، ١٩٢ ، ٣٣٣ ، تفسير سورة آل عمران : ٣٢٦/٢ ، تفسير سورة يس : ٥٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، تفسير جزء عم : ١٥١ ، القول المفيد : ٦٢/١ ، و ٢٦٧/٢ ، تنبيه الإفهام : ١١٩/١ .

٧) ينظر : تفسير جزء عم : ٣١١ ، وما بعدها ، شرح القواعد الحسان : ١٦ .

وخلاصة القول إنَّ المعرف بـ (أل) له ثلاث حالات كما يرى الشيخ ابن عثيمين[١] :

الأولى : أن تكون استغراقية فهي للعموم .

الثانية : أن تكون عهدية فتكون بحسب المعهود، إن كان عاماً فهي للعموم، وإن كان خاصاً فهي للخصوص.

الثالثة : أن تكون لبيان الجنس، فلا تدل على العموم، والله أعلم.

خامساً : التعريف بالاسم الموصول:

يعرف المسند إليه بالموصولية لأغراض بلاغية منها:

تفخيم الأمر وتهويله، كقوله – تعالى– في آل فرعون: ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[طه: ٧٨]، ومنه قوله – سبحانه– حكاية عما حل بقوم لوط - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾[النجم : ٥٤]، ومثله قوله -تعالى - : ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾[النجم : ١٦]، وقوله ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[النجم : ١٠].

فالاسم الموصول في هذه الآيات الكريمة، فيه إبهام أدى إلى تفخيم الأمر وتهويله ولو أردت تفصيل ما أفاده الاسم الموصول هنا ما أفدت ما أفاده الاسم الموصول في هذه الآيات من التفخيم والتهويل الذي لا يحيط به الوصف[٢].

سادساً : التعريف بالإضافة:

ذكر الشيخ ابن عثيمين للتعريف بالإضافة أغراضاً ودواعي منها:

١- بيان الطريق الصحيح الموصل إلى الله - تعالى-:

مثال ذلك قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[آل عمران: ٩٩].

---

١) ينظر : شرح الأصول من علم الأصول : ٢٣٤ .

٢) ينظر : علم المعاني (د. بسيوني) : ٩٧ .

قال الشيخ ابن عثيمين عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: ((أي عن دينه وشريعته، وسمي الدين سبيلاً لأنه موصول إليه، وأضيف إلى الله لوجهين:

الوجه الأول : أنَّ الله هو الذي وضعه سبيلاً للخلق يمشون عليه .

الوجه الثاني : أنه موصل إلى الله، فمن سلك السبيل الذي وضعه الله للعباد فسيصل إلى الله - عزوجل-. فالمراد بسبيل الله دينه؛ لأنه الطريق الموصل إليه))[١].

وهذا كقوله - تعالى- : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾[آل عمران: ٨٣]، فدين الله – تعالى– هنا يراد به شريعته التي شرعها لعباده، وأضافها الله لنفسه، بياناً لأهميتها، وأنها الشريعة العادلة النافعة التي لا قيام للخلق إلا بها، فهي أكمل الشرائع؛ وأضافها لنفسه أيضاً لأنه هو الذي شرعها – سبحانه وتعالى– [٢].

وأحياناً يضاف الدين إلى العام ، كقوله - تعالى- : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] أصلها: (ولي ديني)، فأضافها هنا إلى العامل باعتبار أنه أخذ به وتمسك به، ويضاف إلى الله – تعالى – باعتبار أنه هو الذي شرعه ووضعه لعباده[٣]، والله أعلم.

٢- التعظيم والحفظ:

كقوله – تعالى– في إبطال زعم اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة:١١٢].

والإضافة هنا جاءت لفائدتين ذكرهما ابن عثيمين في قوله: ((قوله - تعالى- : (عِندَ رَبِّهِۦ): أضاف العندية إليه لفائدتين:

الفائدة الأولى : أنه عظيم؛ لأنَّ المضاف إلى العظيم عظيم؛ ولهذا جاء في حديث أبي بكر الذي علمه الرسولُ – صلى الله عليه وسلم – إياه أنه قال: (فاغفر لي مغفرة من عندك)[٤].

---

١) تفسير سورة آل عمران : ٥٦٥/١ .
٢) ينظر : المصدر نفسه : ٤٦٥/١ .
٣) ينظر : نفسه : ٤٦٦/١ .
٤) متفق عليه : أخرجه البخاري ، كتاب الأذان ، باب الدعاء قبل السلام : ١١/١ ، ومسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر : ٧٣/٨ .

والفائدة الثانية : أنَّ هذا محفوظ غاية الحفظ، ولن يضيع؛ لأنك لا يمكن أن تجد أحداً أحفظ من الله؛ إذاً فلن يضيع هذا العمل؛ لأنه في أمان غاية الأمان. وأضافه إلى وصف الربوبية ليبين كمال عناية الله بالعامل، وإثابته عليه؛ فالربوبية هنا من الربوبية الخاصة))[١].

وأضاف العندية إليه – سبحانه وتعالى– أيضاً لئلا يكون لأحد عليهم منة سواه، هذا من وجه، ولكونه أبلغ ما دام أنه من عند الكريم. وكذلك لاطمئنان العبد على حصوله كاملاً؛ لأنَّ الله – تعالى– لا يخلف الميعاد[٢]، والله أعلم.

٤- التشريف والتعظيم والتكريم والعناية:

مثال ذلك ما جاء في قوله - تعالى- : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[البقرة: ١١٤].

قال ابن عثيمين : ((فالمساجد عين قائمة بنفسها، أضافها الله لنفسه تشريفاً وتعظيماً؛ ولذلك اكتسبت من هذه الإضافة أنه يجب أن تطهر من القذر، ولا يحل فيها شيء من أمور الدنيا؛ كالبيع والشراء وما أشبه ذلك))[٣].

فمن المعلوم أنَّ ((الإضافة هنا من باب التكريم والعناية وإلا فمن المعلوم أنَّ لله ملك السموات والأرض ولكن هذه الإضافة من باب التكريم والتشريف للمساجد))[٤].

٤- بيان إخلاص النصح:

ففي قوله - تعالى- : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[البقرة: ٦٧]، يقول الشيخ ابن

---

١) تفسير سورة البقرة : ٣٦٩/١ – ٣٧٠ .
وللاستزادة ينظر : تفسير سورة البقرة : ٣٣٥/١ ، تفسير سورة آل عمران : ٥٣/١ ، ٢٣٢ .

٢) ينظر : تفسير سورة البقرة : ٣٣٥/١ ، تفسير سورة آل عمران : ٥٣/١ ، ٢٣٢ .

٣) فتح ذي الجلال والإكرام : ٣٢٥/٢ (ط، مؤسسة الشيخ، الرياض).
وللاستزادة من الأمثلة ينظر : تفسير سورة البقرة : ٤٦/٢ ، و ٢١٩/٣ ، تفسير سورة آل عمران : ١٠٥/١ ، تفسير سورة يس : ٩٢ ، تفسير سورة الصافات : ٣٦٦ ، تفسير جزء عم : ٣٢٦ ، ٢١٢ ، التعليق على صحيح مسلم : ٦٧٢/١ .

٤) دروس وفتاوى في الحرم المكي : ٤٩٩ . وينظر : تفسير سورة الصافات : ١٧٠ .

عثيمين مفسراً لهذه الآية: ((قوله - تعالى- : (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ) أي واذكروا يا بني إسرائيل إذ قال موسى لقومه، وإضافة (القوم) إليه لبيان أنه – عليه الصلاة والسلام – لا يمكن أن يقول لهم إلا ما فيه خير؛ لأنَّ الإنسان سوف ينصح لقومه أكثر مما ينصح لغيرهم))[١].

٥- التعطف والتحنن :

كقوله – تعالى– على لسان إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – عندما أعلن هجرته: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[الصافات: ٩٩].

وهنا وقف الشيخ ابن عثيمين مبيناً الغرض البلاغي من الإضافة فيقول:((والإضافة هنا إضافة تعطف وتحنن، وهي من الربوبية الخاصة، يعني إلى الرب الذي أرجو منه أن يهديني ويدلني لما فيه الخير))[٢].

ومن الفوائد التي استنبطها الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله– من قوله - تعالى - : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[البقرة: ٢٣٣]:

((أنه ينبغي استعطاف المخاطب بما يقتضي عطفه على الشيء؛ لقوله تعالى : (يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ)، حيث أضاف الأولاد إلى المرضعات))[٣].

٦- التعميم والشمول:

ومنه قوله – تعالى– في القرآن العظيم -: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ١٩٢]، ففي تفسير ذلك يقول ابن عثيمين: ((قوله: (وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) يعني القرآن، وأضاف التنزيل إلى رب العالمين إشارة إلى أنَّ هذا القرآن لجميع العالمين، ما دام المنزل له هو رب العالمين فإنه يكون لكل العالمين))[٤].

---

١) تفسير سورة البقرة : ٢٣٤/١.
٢) تفسير سورة الصافات : ٢٢٢ .
٣) تفسير سورة البقرة : ١٤٧/٣ .
٤) شرح أصول التفسير : ٤٣ .

٧- إثبات الملكية :

استنبط الشيخ ابن عثيمين فوائد كثيرة من قوله - تعالى- ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٦١]، فقال - رحمه الله تعالى- : ((ومن فوائد الآية: إثبات الملكية للإنسان؛ لقوله تعالى : (أَمْوَالَهُمْ) ؛ فإن الإضافة هنا تفيد الملكية))[١].

٨- قطع الشك :

ومنه قوله - تعالى - : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾[النساء : ١٧١].

قال ابن عثيمين : ((قوله : (إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ): هذه صيغة حصر، وطريقه (إنما)؛ فيكون المعنى: ما المسيح عيسى ابن مريم إلا رسول الله، وأضافه إلى أمه ليقطع قول النصارى الذي يضيفونه إلى الله))[٢].

٩- اللوم والتوبيخ:

قال الشيخ ابن عثيمين في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ [التكوير: ٢٢]: ((أي محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتأمل أنه قال: (وَمَا صَاحِبُكُمْ) فأضافه إليهم ليكون أشد لوماً وتوبيخاً لهم حين ردوا دعوته، كأنه قال: ما صاحبكم الذي تعرفونه وأنتم وإياه دائماً، بقي فيهم أربعين سنة في مكة قبل النبوة يعرفونه، ويعرفون صدقه وأمانته، حتى كانوا يطلقون عليه اسم الأمين (وَمَا صَاحِبُكُمْ

---

١) تفسير سورة البقرة : ٣١١/٣ .
٢) القول المفيد : ٣٦٤/١ .

بِمَجْنُونٍ) يعني ليس مجنوناً، بل هو أعقل العقلاء -عليه الصلاة والسلام -، أكمل الناس عقلاً بلا شك وأسدّهم رأياً))[١].

١٠- التقبيح والتنفير :

ومن ذلك ما جاء في حديث أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة))[٢].

وفي هذا الحديث النبوي تناول الشيخ ابن عثيمين الغرض أو السر البلاغي من إضافة هذه الأوصاف إلى الجاهلية فقال: ((وقوله: (من أمر الجاهلية): إضافتها إلى الجاهلية الغرض منها التقبيح والتنفير؛ لأن كل إنسان يقال: فِعلُك فعل الجاهلية لاشك أنه يغضب؛ إذ إنه لا أحد يرضى أن يوصف بالجهل، ولا بأن فعله من أفعال الجاهلية؛ فالغرض من الإضافة هنا أمران:

١- التنفير .

٢- بيان أنَّ هذه الأمور كلها جهل وحمق بالإنسان؛ إذ ليست أهلاً بأن يراعيها الإنسان أو يعتني بها؛ فالذي يعتني بها جاهل))[٣].

١١- إقامة العدل وإنصاف الناس:

ففي تفسير قوله - تعالى - : ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴾ [الهمزة: ٤- ٦]، يقول الشيخ ابن عثيمين: ((أضافها الله –سبحانه وتعالى– إلى نفسه، لأنه يعذب بها من يستحق العذاب فهي عقوبة عدل وليست عقوبة ظلم. أي: نار يحرق الله بها من يستحق أن يعذب بها، إذاً هي نار عدل وليست نار ظلم؛ لأنَّ الإحراق بالنار قد يكون ظلماً وقد يكون عدلاً، فتعذيب الكافرين في النار لاشك أنه عدل، وأنه يُثنى به على الرب – عزوجل– حيث عامل هؤلاء بما يستحقون))[٤].

---

١) تفسير جزء عم : ٨٠ .
٢) أخرجه مسلم ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة : ٤٥/٣ .
٣) القول المفيد : ٢١/٢-٢٢ .
٤) تفسير جزء عم : ٣٢١ .

١٢- اقتضاء المقام والسياق:

كقوله - تعالى-: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الصافات:١٨٠]، فعند هذه الآية العظيمة وقف الشيخ ابن عثيمين لكي يبين الغرض أو السر البلاغي من إضافة لفظ (الرب) إلى صفة (العزة) دون غيرها من الصفات فيقول: ((قوله : (رَبِّ ٱلْعِزَّةِ) أضاف الرب هنا إلى العزة دون غيرهما من صفاته؛ لأنَّ المقام يقتضي ذلك، فإن المقام الآن في ذكر مآل النبي – صلى الله عليه وسلم– ومآل المكذبين له، وأنَّ مآله أن ينصره الله وأن تكون الغلبة له، وأن يكون الذل والخذلان لأعدائه، فالمقام هنا يقتضي الصفة التي تكون بها الغلبة وهي العزة، قال الله – عزوجل– في سورة المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨] وهذه حقيقة يخرج الأعز الأذل، لكن من الأعز ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[المنافقون: ٨] وأما المنافقون فلا عزة لهم، وعلى هذا فنقول: إنَّ الله ذكر هنا صفة العزة دون غيرها؛ لأن المقام يقتضي ذلك، حيث إنه في سياق الغلبة للرسول – صلى الله عليه وسلم – والذل لأعدائه، ومن أسماء الله - تعالى- : العزيز))[1].

---

[1]) تفسير سورة الصافات : ٣٦٧ .

المبحث الثاني

التنكير، وأغراضه البلاغية

بعد أن عرفت التعريف وأغراضه نحدثك عما يقابله، وهو التنكير، والنكرة هي ما شاع في جنسه دون أن يدل على معين[١]. وله – أي التنكير– أغراضاً بلاغية كثيرة تفهم لا من التنكير وحده، بل من السياق الذي يدلك على المراد من هذا التنكير.

فالنكرة قد تفيد القلة، وقد تفيد الكثرة، وقد تفيد العظمة، وقد تفيد التهوين، كل ذلك بحسب السياق، كما يرى الشيخ ابن عثيمين[٢].

خذ مثلاً لذلك لفظة (حَيَوٰةٌ) في قوله - تعالى- : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾[البقرة : ١٧٩]، وقوله - سبحانه- : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ ﴾[البقرة: ٩٦]، فحياة جاءت نكرة في كلا الآيتين، ولكنها دلت في كل آية على معنى، ففي الآية الثانية دلت على أي حياة مهما كانت قليلة وزهيدة، ولكنها في الآية الأولى دلت على حياة عظيمة حرية بأن تصان وأن يحافظ عليها[٣].

وأهم ما وقفنا عليه من أغراض التنكير التي يعينها السياق كما فهمها الشيخ ابن عثيمين هي:

١- العموم:

النكرة إذا كانت بعد النفي، أو النهي، أو الاستفهام الإنكاري، أو الشرط أفادت العموم[٤]، فقد ذكر ابن عثيمين أنَّ من صيغ العموم : ((النكرة في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام الإنكاري كقوله - تعالى- : ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[النساء:٣٦]،﴿ إِن تُبۡدُواْ

---

١) ينظر : شرح المفصل : ٣٥١/٣ ، التعريفات : ٢٤٢ .
٢) ينظر : تفسير سورة البقرة : ٣٢٠/٢ .
٣) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) : ٢٥٣ .
٤) ينظر : التعليق على القواعد والأصول الجامعة : ٢٠٢ .

شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحـــــــزاب: ٥٤]، ﴿مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾[القصص :٧١]))[١].

فالنكرة إذا كانت في هذه السياقات أفادت العموم، ففي قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ الشاهد في كلمة (إِلَٰهٍ) فإنها نكرة وقعت بعد النفي فأفادت العموم.

والشاهد في قوله - تعالى- : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ كلمة (شَيْـًٔا) حيث وقعت نكرة في سياق النهي، فتعم.

وفي قوله - تعالى- : ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ الشاهد في قوله : (شَيْـًٔا) حيث جاءت نكرة في سياق الشرط فعممت كل شيء تبديه أو تخفيه فالله عالم به .

أما النكرة في سياق الاستفهام الإنكاري فقد وقعت في قوله - تعالى- : ﴿مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾[٢].

وفي قوله - تعالى- : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[الذاريات: ٢٠]، يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله- : ((لم يبين الله هذه الآيات بل جاءت منكرة، ليشمل كل آية في الأرض، سواء كانت الآيات فيما يحدث فيها من الحوادث، أو كانت في نفس طبيعة الأرض وتركيب الأرض، فإن فيها آيات عظيمة من حيث التركيب ... فكلمة (ءَايَـٰتٌ) نكرة عامة لكل ما يحدث في الأرض من آيات، ولكل ما فيها من طبيعتها وتركيبها وغير ذلك))[٣].

---

١) الأصول من علم الأصول : ٢٩ .
ولمزيد من الأمثلة ينظر : تفسير سورة البقرة : ١٠٨/١ ، ٣٦٥ ، تفسير سورة آل عمران : ١٠٣/٢ ، ٤٦٠ ، تفسير سورة يس : ٥٨ ، أحكام من القرآن الكريم : ٤٤٥/١ ، ٤٧١ ، التعليق على صحيح مسلم : ٢٦٧/١ ، ٥٩٢ ، القول المفيد : ١٢٩/٢ ، ١٣٠ ، شرح العقيدة الواسطية : ١١٣/١ ، ٢٥٢ ، شرح رياض الصالحين : ١٤٥/٤ ، شرح منظومة أصول الفقه وقواعده : ١٩٧ ، ٣٣٣ .

٢) ينظر : شرح الأصول من علم الأصول : ٢٣٠ ، وما بعدها ، القواعد والأصول الجامعة : ٢٠٢ ، لقاءات الباب المفتوح : ٤٢٧/٢ ، دروس وفتاوى في الحرم المكي : ١١١٢ .

٣) تفسير سورة الحجرات ... : ١٢٦- ١٢٧ .

٢- التعظيم :

والتنكير قد يراد به التعظيم[١]، ومنه قوله - تعالى- : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٨٩]، وفي تفسير هذه الآية يقول ابن عثيمين: ((قوله - تعالى- : (وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ): هو القرآن؛ ونكّره هنا للتعظيم؛ وأكد تعظيمه بقوله - تعالى- : (مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ)، وأضافه الله – تعالى– إليه؛ لأنه كلامه))[٢].

ومنه قوله - تعالى- : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة :١٧٩].

قال الشيخ - رحمه الله تعالى- : (((حَيَوٰةٌ) نكرة للتعظيم؛ والمعنى: حياة كبرى، أو عظمى))[٣].

٣- التكثير والتعظيم:

مثاله قوله – تعالى– في نوح وأهله إلا من سبق عليه القول منهم : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[القمر: ١٣].

قال ابن عثيمين: ((هذه السفينة وصفها الله بأنها ذات ألواح، وألواح جمع منكر يدل على شيئين: الشيء الأول كثرة ألواحها، والثاني عظمة هذه الألواح، ومتانتها، وحق لسفينة تحمل البشر على ظهرها أن تكون ذات ألواح عظيمة))[٤].

---

١) ينظر : تفسير سورة النساء، الآية (٩٦)، تفسير سورة يس : ٢٦٦ .
٢) تفسير سورة البقرة : ٢٨٩/١ . ولمزيد من الأمثلة ينظر : تفسير سورة الكهف : ٢٠ ، ١٤٠، تفسير سورة يس : ١٠٨ ، ٢٦٦ ، تفسير سورة الصافات : ١٨١ ، القول المفيد : ٢٣٣/١ ، شرح العقيدة الواسطية : ٣٣٤/١ ، تنبيه الإفهام : ٣٦٥/١ .
٣) تفسير سورة البقرة : ٣٠٤/٢ .
٤) تفسير سورة الحجرات ... : ٢٧١ .

فقد روعي التركيز على مادة السفينة، فعَدَلَ عن التعبير بالفلك أو السفينة إلى التعبير بذات ألواح ودُسر، فما هو السر البلاغي وراء ذلك؟

يرى الشيخ ابن عثيمين أنَّ ذلك جاء لوجوه ثلاثة:

الأول: مراعاة للآيات وفواصلها.

الثاني: كي يتعلم الناس كيف يصنعون السفن، وبيان أنها من الألواح والمسامير.

الثالث: الإشارة إلى قوتها وعظمتها، لذا جاء التنكير هنا للتعظيم[١].

٤- التقليل:

قال - تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾[البقرة : ١٨٣- ١٨٤]، جاء في تفسير الشيخ ابن عثيمين لهذه الآية قوله: (((أَيَّامًا): نكرة؛ والنكرة تفيد القلة، وتفيد الكثرة، وتفيد العظمة، وتفيد الهون بحسب السياق؛ لما قرنت هنا بقوله - تعالى-: (مَّعۡدُودَٰتٖ) أفادت القلة؛ يعني: هذا الصيام ليس أشهراً؛ ليس سنوات؛ ليس أسابيع؛ لكنه أيام معدودات قليلة؛ و(مَّعۡدُودَٰتٖ) من صيغ جمع القلة؛ لأن جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم من صيغ جمع القلة؛ يعني: فهي أيام قليلة))[٢].

٥- التقليل والتحقير:

كقوله – تعالى– في شأن اليهود : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ ﴾ [البقرة: ٩٦]، فقد ألمح الشيخ إلى هذا الغرض بقوله: ((نكر (حَيَوٰةٖ) ليفيد أنهم حريصون على أي حياة كانت وإن قلت؛ حتى لو لم يأتهم إلا لحظة فهم أحرص الناس عليها))[٣].

---

١) ينظر : شرح العقيدة الواسطية : ٣١٨/١ .
٢) تفسير سورة البقرة : ٣٢٠/٢ .
وللاستزادة ينظر : تفسير سورة البقرة : ١٧٨/٢ .
٣) تفسير سورة البقرة : ٣٠٩/١ .

فهؤلاء الموجودون من بني إسرائيل أحرص الناس على حياة، وإن كانت هذه الحياة زهيدة قليلة؛ كي يتمتعوا بما فيها من اللذات التي لا تنفعهم يوم القيامة، فهم أحرص الناس على حياة حتى من الذين أشركوا، يتمنى أحدهم لو يعمر ألف سنة ولكن ذلك لا ينفعه[١].

٦- الافراد :

مثاله قوله - تعالى - : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس : ٢٠] .

يقول الشيخ ابن عثيمين في تفسيره لهذه الآية الكريمة : ((الله - عزوجل- يقول (رَجُلٌ) وهو نكرة غير معرف))[٢] . أي فرداً واحداً لا أكثر[٣] .

٦- نفي الشبهة:

فسر الشيخ ابن عثيمين قوله - تعالى- : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾[غافر: ٢٨]، فقال - رحمه الله تعالى- : ((ولم يقل: أتقتلون موسى، لأنه لو عينه لقيل: بينه وبينه ارتباط. ولذلك قال: (رَجُلًا)، هكذا بالتنكير لينفي عن نفسه أيَّ شبهة وأيَّ علاقة شخصية به.

وكما فعل أبو بكر – رضي الله عنه– مع قريش في معاملتهم للنبي – صلى الله عليه وسلم– قال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)[٤]. فالتعميم خير من التعيين من هذين الوجهين))[٥].

---

١) ينظر : أحكام من القرآن الكريم : ٢٥٩/١ ، وما بعدها .
٢) تفسير سورة يس : ٧١ .
٣) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) : ٢٥٤ .
٤) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، سورة المؤمن : ١٥٩/٦ .
٥) لقاءات الباب المفتوح : ٤٩٧/٣ .

تلك هي أهم الأغراض البلاغية للتعريف والتنكير التي وقفنا عليها عند الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - والتي تدل على عمق علمه ودقة فهمه للمصطلحات البلاغية.

الخاتمة

وبعد فتأتي الخاتمة هنا لتسجل أهم النتائج التي تم التوصل إليها :

١- الشيخ ابن عثيمين كان إماماً في الفقه والتفسير والأصول والنحو والبلاغة، واسع العلم، فقد كرّس كل حياته للدرس والتأليف.
٢- كانت مؤلفاته رحمه الله مملوءة بموضوعات اللغة العربية من نقولات عن سابقيه واختصار لأقوالهم وعرض لأرائهم ومناقشتها وردود وموافقات وشواهد إلى غير ذلك.
٣- إنّ إلمام الشيخ بفنون البلاغة ومعرفته بأساليب كلام العرب، كلّ ذلك نمّى عنده ملكة النقد والتمييز بين السليم والسقيم من التراكيب اللغوية والأساليب البلاغية، حتى تميّز بعرضه الدقيق في مناقشته للمسائل العلمية.
٤- تحدث علماء النحو عن المعرفة والنكرة، وذكروا أقسام المعارف كالضمير، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرف بأل، وغيرها من المباحث التي تتعلق بهذا الموضوع إلا أن حديثهم كان من الناحية الإعرابية. أما علماء البيان فإنهم تحدثوا عن الأغراض البلاغية التي يأتي من أجلها التعريف أو التنكير.
٥- أعرف المعارف الضمائر إلا الأسماء المختصة بالله فهي أعرف من الضمائر؛ لأنها لا تحتمل غير الله ولا تصل لغير الله -تعالى-.
٦- من الأساليب البلاغية التي يقصدها البلاغي والتي تقتضيها أحوال المخاطبين أسلوب التعريف والتنكير، وله أغراض بلاغية كما كان للتقديم والتأخير والحذف والذكر.

فهذه جملة من نتائج هذه الدراسة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

- كتب الشيخ ابن عثيمين:

١- أحكام من القرآن الكريم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر– الرياض، ١٤٢٥هـ.

٢- أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي – الدمام، ط/١، ١٤٢٣هـ.

٣- الأصول من علم الأصول، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، مكتبة الإيمان بالمنصورة.

٤- التعليق على صحيح مسلم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مكتبة الرشد – الرياض، ط/١، ١٤٢٧هـ.

٥- التعليق على القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، عناية أيمن بن عارف الدمشقي، وصبحي محمد رمضان، مكتبة السنة – القاهرة، ط/١.

٦- التعليق على المنتقى من أخبار المصطفى ρ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار المحدث– الرياض، ط/١، ١٤٢٦هـ.

٧- تفسير جزء عمّ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا- الرياض، ط/٣، ١٤٢٤هـ.

٨- تفسير سورة آل عمران، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي– الدمام، ط/١، ١٤٢٦هـ.

٩- تفسير سورة البقرة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار بن الجوزي– الدمام، ط/١، ١٤٢٣هـ.

١٠- تفسير سورة الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسه

الشيخ محمد ابن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر– الرياض، ط/١، ١٤٢٥هـ.

١١- تفسير سورة الصافات، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر– الرياض، ط/١، ١٤٢٤هـ.

١٢- تفسير سورة العنكبوت، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تسجيل صوتي.

١٣- تفسير سورة فصلت، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تسجيل صوتي.

١٤- تفسير سورة الكهف، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي – الدمام، ط/١، ١٤٢٣هـ.

١٥- تفسير سورة النساء، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تسجيل صوتي.

١٦- تفسير سورة يس، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه فهد بن ناصر السليمان، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا- الرياض، ط/٢، ١٤٢٤هـ.

١٧- تنبيه الأفهام شرح عمدة الأحكام، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، (طبع مع كتاب تيسير العلام)، اعتنى به وحقّقه أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار ابن الهيثم- القاهرة، ١٤٢٥هـ.

١٨- دروس وفتاوى في الحرم المكي، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، راجعه محمد سامح محمد، ومحمد علي محمد عطا، وإبراهيم عبد الستار، طبع بإذن من فضيلة الشيخ ابن عثيمين، دار ابن الجوزي– القاهرة.

١٩- شرح الآجرومية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مكتبة الرشد– الرياض، ط/٤، ١٤٣١هـ.

٢٠- شرح أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، اعتنى به وعلّق عليه محمد بن عبدالله المصري، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع- القاهرة، ط/١، ١٤٢٦هـ.

٢١- شرح الأصول من علم الأصول، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار ابن الهيثم– القاهرة.
٢٢- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر– الرياض، ١٤٢٦هـ.
٢٣- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تحقيق سعد ابن فواز الصميل، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي– الدمام، ط/٤، ١٤٢٤هـ.
٢٤- شرح القواعد الحسان في تفسر القرآن، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تحقيق صلاح الدين محمود السعيد، دار الغد الجديد– المنصورة، ط/١، ١٤٢٦هـ.
٢٥- الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي– الدمام، ج١-٢، ط/١، ١٤٢٢هـ، وج٣-٥، ١٤٢٣هـ، وج٦-٧، ١٤٢٤هـ ، وج٨-٩، ١٤٢٥هـ ، وج١٠-١١، ١٤٢٦هـ ، وج١٢، ١٤٢٧هـ.
٢٦- شرح منظومة أصول الفقه وقواعده (الشرح الموسع)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي– الدمام، ط/١، ١٤٢٦هـ.
٢٧- شرح نظم الورقات في أصول الفقه، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي– الدمام، ط/١، ١٤٢٥هـ.
٢٨- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر– الرياض، ج١، ط/١، ١٤٢٥هـ ، وج٢، ١٤٢٦هـ.
٢٩- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تحقيق وتعليق صبحي بن محمد رمضان، وأم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية– القاهرة، ط/١، ١٤٢٧هـ.
٣٠- القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن رجب، ج١، ط/١، ١٤٢٥هـ ، وج٢، ط/٢، ١٤٢٤هـ.

٣١- لقاءات الباب المفتوح (من ١-٧٠)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، أعدَّ هذه اللقاءات د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، اعتنى بها وأشرف عليها دار البصيرة– الإسكندرية.

- الكتب الأخرى:

٣٢- الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، وضع حواشيه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ.

٣٣- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، لـ د. فضل حسن عباس، دار الفرقان– الأردن، ط/١٠، ١٤٢٦هـ.

٣٤- التعريفات، للسيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/٢، ١٤٢٤هـ.

٣٥- الجامع لحياة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي، بقلم تلميذه وليد بن أحمد الحسين الزبيري، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة– بريطانيا، ط/١، ١٤٢٢هـ.

٣٦- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوه، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية– بيروت، ط/١، ١٤١٣هـ.

٣٧- جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، رواية الشيخ محمد بن موسى الموسى، إعداد محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة– الرياض، ط/١، ١٤٢٣هـ.

٣٨- حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي في سطور، جمع وإعداد أحمد بن عبد الله ابن علي القرعاوي، مكتبة الأمة– القصيم، ط/١، ١٤١٣هـ.

٣٩- ديوان الفرزدق، قدم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٢٥هـ.

٤٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ)، دار الطلائع للنشر والتوزيع– القاهرة.

٤١- شرح المفصل، لموفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية– بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ.

٤٢- صحيح البخاري، للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي.

٤٣- صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة– بيروت.
٤٤- علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، لـ د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع– القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع– الإحساء، ط/٢، ١٤٢٥هـ.
٤٥- معاني الحروف، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، حققه وخرج حديثه وعلق عليه الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونه الدمشقي، المكتبة العصرية- بيروت، ط/١، ١٤٢٦هـ.